2.000
D-1
-97-

من التراث الإسلامي

سهل بن عبد الله التستري
(المتوفى سنة ٢٨٣هـ)

المعونة والرد

على أهل الفرق وأهل الدعاوى

في الأحوال

تحقيق ونقد وتعليق

الدكتور محمد كمال جعفر

رئيس قسم الفلسفة الإسلامية
كلية دار العلوم — جامعة القاهرة

دار الأنسان
للتأليف والترجمة والنشر

١٠٩ ش التحرير — ميدان الدقي — القاهرة

الطبعـــة والأولى

١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م

حقوق الطبـــع محفوظة

الإهـــــداء

* إلى من يرجو من ربه موارد الإحسان ، ويصون من أعماقه كرامة الإنسان .
* إلى أهل الوفاء فى السراء والضـــراء، وحمـــاة الألفـة والمحبة والصفـاء .
* إلى كل من جمع الكلمة .

وأشـــاع البسمة

وحفـــز الهمـــة .

وشكر النعمـــة .

* إلى كل من يضيف إلى الحيـــاة ما يعين على حب واهب الحيـــاة .

أهدى هـــذا الكتاب .

محمد كمال جعفر

بسم الله الرحمن الرحيم

تصـــدير

تأتى الأشياء إلى الوجود وتنتهى ، وتمر الكلمات وتنفد وتنقضى إلا الكلمة التى انبثقت من ينبوع الحياة ، وإلا الحكمة التى صدرت ممن تعنو له الجباه ، وإلا الدروس المضيئة التى اقتبست من هدى رسول الله .

واليوم نقدم للقارىء جزءاً من تراثنا لا نخطىء فيه أنوار الهداية ، ولا نزكى فيه ما ليس له أصل من البداية ، غير أننا ندعو القارىء إلى ملاحظة أن هذا الجزء يضم أقوالا منثورة ، تكشف طبيعة الارتجال فى النفس المعمورة . وهى تطرق آداباً وآراء ومواقف وتعليقات متنوعة يجمع شتاتها أنها تتصل بالإنسان . فكراً ووجداناً وسلوكاً ، أو عقلا وإيماناً وعملا .

وللقارىء أن يوافق أو يخالف ما ورد من هذه الأقوال إلا أنه مطالب فى كلا الحالين بالقوة فى البرهنة والاستدلال . وعليه أن يذكر دائماً أن روح الدين الأصيل ، تخاطب دائماً أهل الفكر الدخيل بهذه الكلمة الإلهية الخالدة « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » .

وهذه الروح — وإن كانت دينية الأصل — هى فى الوقت نفسه خلاصة الركيزة العلمية فى كل العصور ، بحيث يفقد كل علم مكانته إذا تخلى عنها .

إن ذلك يؤكد لأهل كل جيل حرص الإسلام على كرامة الإنسان ، هذا الإنسان الذى خاطبه ربه منبهاً ومحذراً بقوله « ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » .

* * *

لقد رأينا أن نقدم لهذا النص الحديد بنبذة عن سيرة مؤلفه وعلاقاته الثقافية والدينية ، متبوعة ببعض ألوان تأثيراته فيمن تلاه ، فى أضيق صورة وأوجز بيان . ثم أوردنا النص بعد أن استعرضنا مؤلفات هذا العلم الكبير ، مكتفين فى تعليقاتنا بالقدر الذى يكشف النص ويجلى غوامضه .

وهذا النص يتيح فرصة طيبة للاتصال المباشر بالتراث ، ويعين طلابنا على التعامل مع أسلوب هذا التراث لاستكناه أسرار وآداب الأسلاف ، علنا نقبس منها ما يعين على مواجهة الحيـــاة ، وحتى نثرى تجاربنا ونصلها بجذور أصيلة مكينة ضماناً لسلامة البناء وقوته . .

والله الموفق إلى ما فيـه خيرنا ورضاه

محمد كمال جعفر

حدائق القبـة

ذو القعدة ١٤٠٠ هـ

سبتمبر ١٩٨٠ م

تمهيد ودراسة

المؤلف

هو سهل بن عبدالله بن يونس بن عيسى بن عبدالله بن رفيع التسترى (١) الزاهد الصالح الذى بز فى الفقه والتصوف وعلم الكلام . . ونسب التسترى إلى تستر ، بلدة صغيرة تقع فى الأهواز من خوزستان (٢) .

وقد اختلفت أقوال المؤرخين حول تاريخ ميلاد ووفاة التسترى ، وربما كان الخلاف على تحديد تاريخ الوفاة أكبر من الخلاف على تحديد تاريخ الميلاد . وهو أمر لم يكن متوقعاً ، إذ العادة أن يكثر الخلاف حول تاريخ الميلاد لا حول الوفاة ، وبخاصة إذا عرفنا أن جل مؤرخينا إنما يؤرخون بالوفاة . ونحن نميل إلى ترجيح تحديد الميلاد بعام ٢٠٣ هـ — ٨١٨ م وذلك اعتماداً على بعض المؤرخين الذين يذكرون سنه عند وفاته ، مثل الحافظ الذهبى فى كتابه « دول الإسلام » (٣) .

أما بالنسبة لتاريخ الوفاة فقد ذكر بعضهم أنه عام ٢٣٣ هـ كما قال صاحب اللباب (٤) وهذا ما لا يمكن قبوله لتاريخ وفاة سهل ، وربما كان هذا تاريخاً لبعض لقاءات سهل مع ذى النون المصرى ت ٢٤٥ هـ . وقد ذكر بعضهم أنه توفى عام ٢٧٣ هـ ، وهذا يمكن إبطاله بما ورد فى بعض النصوص الموثقة من أن سهلا كان حياً فى سنة ٢٧٥ هـ وأن بعض أقوال سجلت له فى هذا العام . فقد ورد أن أبا يوسف أحمد بن محمد بن قيس

---

(١) يذكر ابن الأثير (٥٥٥ — ٦٣٠ هـ) فى كتابه اللباب جـ ١ ص ١٧٦ (ط. القاهرة ١٩٥٧) أن النسبة هى تستر ا بالألف وهذا ما لم يستطع تبريره لغوياً .

(٢) اختلف حول أصل الكلمة « تستر » ، لكن ياقوت (معجم البلدان /١ ص ٨٣٨ ، ٣٩) يذكر أنها مشتقة من الكلمة الفارسية « خوش » مع إضافة لاحقة التفضيل « تر » . وقد نسب إلى تستر عدد كثير قد يوقع بعض الباحثين فى الخلط والحيرة . ويوجد وصف كامل لأهل تستر وخصائصهم فى المسالك والممالك / ٦٢ — ٦٤ ، وقارن فيلب حتى / تاريخ العرب ص ٣٦٣ ط رابعة الأصل الإنجليزى .

(٣) الجزء الأول ص ١٣٤ ط أولى .

(٤) الجزء الأول ص ١٧٦ .